المبحث الأول: الفكر الفلسفي في بلاد الأندلس

تنوعت القراءات الفكرية و الكتابات التاريخية عن التراث العربي و الإسلامي , و مجمل ما يمله من جدل حول حقيقة وجود فلسفة و حول منشئها و طبيعة انتمائها , و لأن الإسلام هو منبع الحياة العلمية في كل زمان ومكان فقد كان لبلاد الأندلس كما لبلاد المغرب العربي حظا وافرا في شتى مختلف أنواع العلوم و المعرفة في مختلف أنحاء البلاد وبعد الفتح الذي عرفته المنطقة آن ذاك, فما هي أبرز الإرهاصات أو الإسهامات في ظهور الحياة الفلسفية في بلاد الأندلس وما مستوياتها ؟ و ما هي الحدود المعرفية الفاصلة بين المشرق و المغرب العربي ؟

1. نشأة الفكر الفلسفي في بلاد الأندلس :

إن المتتبع لتاريخ الفلسفة عامة و الفكر الفلسفي الإسلامي خاصة يدرك أهمية ارتباطها بمعاني الحكمة و التوجه نحو الكمال الأخلاقي الذي يميز السعادة بشقيها المادي و الروحي " ولأن تأثر الفلاسفة الإسلاميون بمن سبقهم من فلاسفة اليونانيون و خاصتا أفلاطون و أرسطو فإنهم قد تميزوا عنهم بمعالجة القضايا و المشكلات المنبثقة من الواقع العقلي و الثقافة الإسلامية ، وماله من مميزات ارتبطت بالقران الكريم و بالتراث الأدبي الجاهلي ، و بالحياة العربية بكل نظرياتها وهناتها ، ومهما وجه إلى الفلسفة الإسلامية و من قبلها الفلسفة اليونانية من نقد و إغراض بالفكر الحديث ، فسيبقى لكلا الفلسفتين ذالك التميز و الشموخ و الفضل الذي لا ينكر على الفكر الإنساني كله "[1]

[1] عمر الشبياني ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، دار العربية للكتاب ، ليبيا الطبعة الثانية 1975 ، ص106

2. مراحل تطور الفكر الفلسفي :

" مرت الفلسفة في الأندلس بعدة مراحل تأثرت و أثرت فيها الكثير من الأفكار لتصل إلى مصاف الفكر الفلسفي الإبداعي و المتطور فيما بعد ، و كانت بدايات التاريخ لها يعتريها شيئا من الصعوبة إذ لا يكاد يوجد أي لون من الحياة الفكرية في الأندلس خلال السنوات الأولى من الفتح الإسلامي لإسبانيا على يد طارق و موسى بن نصير و أيضا كان الجهل مسيطر في إسبانيا أيام حكم القوط ، ونتيجتا لهذا الجهل المتواجد قبل دخول المسلمين وبعد دخول المسلمين لم يتغير الوضع كثيرا لأن المسلمين الفاتحين كانوا أغلبهم من المحاربين ، طول مدى فترة حكم الولاة 710هـ،755هـ ذلك أن الظروف التي كانت تحيط به لم تكن مواتية لشؤون الدرس و الفكر،فقد اشتغل الفاتحون بما وقع بينهم من مخاصمات وحروب و إثارة العداوات و تأجج الفتن و بذالك إثارة العداوات بين القيسية و اليمنية و المدنية و الشامية و بين العرب و البربر ثم إن الفاتحين –جميعا– كانوا من المحاربين و هذا وحده يكفي لتعليل عن انصرافهم عن الأدب و شؤون الفكر" [1] .

فقد كانت الفلسفة الأندلسية تكتسي أثوابا مختلفة من أنواع المعرفة مما جعلها غامضة متسترة خلف أنواع العلوم الأخرى خاصة التطبيقية مثل الطب و الرياضيات و الفلك أو وراء بدع الاعتزال و بعض المذاهب الباطنية .

" لقد كان فلاسفة الأندلس الأولين أطباء أو منجمين ثم أخذ الطب و التنجيم يتبلور حتى ظفرنا بالفلاسفة الحقيقيين و إن وصول الكتب الفلسفية اليونانية إلى الأندلس كان لها الأثر الكبير في تبلور الفكر الفلسفي ، فهذه العوامل كلها عملت على تكوين طبقة كانت تشتغل بالطب والتنجيم أولا ثم بمناسبة تغلغلهم في كتب اليونان تطورت بشكل ملحوظ في أواخر

[1] بالنثيا انجل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس ، تقديم سليمان العطار ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2011 ص10.

القرن العاشر ميلادي خاصة بعد أن أنشأ محمد بن عبد الله بن مسرة (260-319هـ/883-931م) مدرسة فكرية حديثة على غرار المدرسة الأفلاطونية ، و يعتبر بهذا أنه رائد المدرسة الفلسفية في بلاد الأندلس و هو أول مؤسس للفكر الأندلسي"[1]

3. أسباب عرقلة نمو الحركة الفلسفية في الغرب الإسلامي :

لم يأخذ تطور الفلسفة في بلاد الأندلس منحنى تصاعدي بل مرة بعدة نكبات و مشاكل اعترضت تطورها إلا أنها كانت عبارة عن أزمات لم تدم طويلا إلا أنها تأثرت بها وعرقلة نموها ومن بين هذه المشاكل حددت نقاط أهمها :

أ. الأوضاع الدينية :

يعد اشتداد الفقهاء المالكيين من العوامل التي عرقلة نمو الحركة الفلسفية في الأندلس برغم من المحاولات الجادة التي قام بها بعض الفلاسفة مما عرضهم للملاحقة و حرق ما كتبوا في الساحات العامة إرضاء للعامة وقد صور المقدسي ذالك بقوله : " أما في الأندلس لا نعرف إلا كتاب الله و موطئ مالك ،فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه ، وإن ظهروا على معتزلي أو شيعي ربما قتلوه "[2]

كما قد سجلت كتب المراجع أحداثا مشابهة من هذا الصدد ، فقد أحرقت كتب ابن مسرة أمام عينيه كما أحرق حاكم اشبيلية المعتمد ابن عباد كتب ابن حزم ، وأحرق المرابطون كتب الغزالي ، وهدد السلطان بالوعيد وسفك الدماء لمن يقتني في بيته كتابا من هذا القبيل و من هنا أضطر كثير من الفلاسفة و العلماء إلى الهجرة من بلاد الأندلس فرارا من سطوة

---

[1] سمى العيون ، تطور الفكر الفلسفي في الأندلس ك,ا WWW.souhabaayom.com تم الإطلاع على 13:30/ 2020/02/03

[2] المقدسي ، محمد بن أحمد ، أحسن التقاسيم ، مكتبة خياط بيروت ، ط2 ، 2006م ، ص237

الحكام و طلبا للأمان بينما عوقب بعضهم نكبات عظيمة إذ لفقت لهم تهما الدين و من بين هؤلاء ابن رشد "[1]

ب. الأوضاع السياسية و الاجتماعية :

ظهر أثناء حكم الإمارة و الخلافة في عهد المرابطين أمراء رضخوا لسيطرة بعض الفقهاء و رغبات العامة في محاربة الفكر الفلسفي , وأطلقوا الاجتهاد و قمعوا التجديد وأحرقوا كتب الغزالي و عدى علم الكلام بدعة في الدين و لما ضعفت أحوال المرابطين ظهرت حركة جديدة على يد " محمد بن تومرة " الملقب بالمهدي الذي أخذ يعمل على نشر دعوته الجديدة و كان جل ما يدعوا إليه علم الاعتقاد "[2] و لما تعاظم أمر الموحدين تغلبوا على المرابطين و أصبحت المغرب بما فيها الأندلس تحت إمرتهم ، وكان بعض حكامهم له ميل إلى الفلسفة و علومها ، و في بلاطهم تألق نجم الفيلسوف ابن طفيل و بعده ابن رشد ، فوصلا إلى مرتبة عالية ، إلا أن ابن رشد حاقت به نكبة مثل ما حلت بفلاسفة قبله على يد الخليفة ألموحدي يعقوب بن يوسف بعد أن أوعز الفقهاء إلى صدره لفقت له تهمة الخروج على الشريعة ، غير أن الخليفة عاد إلى دراسة الفلسفة فستدعى ابن رشد من منفاه وعفا عنه و على وجه الإجمال فقد كان لحكم الموحدين أثر إيجابي على تقدم الفلسفة و ازدهارها "[3]

[1] المراكشي ، عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: صلاح الدين الهواري ،المكتبة العصرية ، لبنان ، ط1 ، 2006م ، ص 82

[2] نفسه، ص 46

[3] نفسه، ص 52

أما الأمر الثاني فهو متصل بمكانة الدراسات الأخلاقية في الفلسفة المغربية " إذ نشأة مدرستان تكونتا في تلك الفترة ، و كان لها وقع في ظهور أنماط متنوعة في التفكير الفلسفي و هما المدرسة الباطنية و يمثلها ابن مسرة والمدرسة الظاهرية و يمثلها ابن حزم "[1]

4. الثقافة الأندلسية :

تعد تعاليم دين الإسلام المنبع الأول لكل أشكال الحياة عند المسلمين فلا يخلوا أي لون إلا ونجد أن الله تعالى و نبيه محمد صلى الله عليه و سلم قد أشارا إليه سوءا في القران الكريم أو في السنة النبوية الشريفة.

أ. العقيدة الإسلامية :

لغة : " اعتقد الشيء أي صلب و أشتد أو استحكم " [2] ," أو هي البصيرة أي عقيدة القلب و العقيدة و هي ما يمسك ويوثق ومنها القول عقدة اليمين و هي نفي الشرك و نظافة القلب "[3] و " المفهوم العام للعقيدة الإسلامية هي الإيمان بالعقيدة و الأصول التي هي أساس الإسلام التي بنية عليها الإسلام و منها تتفرع إلى عدة فروع "[4] .

" لقد تشبث أهل الأندلس حكاما و ولاتا و شعبا بالعقيدة الإسلامية على أهل السنة و الجماعة فتخذوها منهاجا و التزموا بها فكرا و منهجا و خلقا فكان الإبداع و التطور الفكري

---

[1] ابن بسام ، أبو الحسن علي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح: إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ،ج1،1998م ، ص140

[2] ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، ط1،ص12

[3] الجزري أبو السعادات المبارك بن محمد ، النهاية في غريب الأثر ، تح: طاهر أحمد الزاوي محمود أحمد الطناحي ، بيروت المكتبة العلمية ، جزء الخامس ص 78

[4] سابق السيد ، العقائد الإسلامية ، دار الكتا العربي بيروت ،لبنان ، 2004م ، ص7

التي شهدته بلادهم في ذالك الزمان لم يرى له نظير في كل بقاع المعمورة حيث كان سمة أساسية ميزتهم على باقي الحضارات الأخرى مبتعدين كل البعد عن الحضارات التي مبدأها ماديا بحتا بل كانت على العكس روحيتا أكثر منها مادية فنجد أن روح العقيدة الإسلامية قد سادة بين سكان الأندلس منذ قيام الدولة الإسلامي , حيث كان مصدر التشريع هو القرآن و السنة المطهرة "[1]

" فلقد كان استعمال العقل فقط في طريق القياس أو الأخذ بإجماع رأي الفقهاء و هذا ما يرى فيه أهل الأندلس أن عقيدتهم تحثهم على التفكير و الإبداع و أنها لا تتعارض مع الحقائق التي أمر بها الله في محكم تنزيله و دعا إلى التأمل فيها "[2]

كما قد برز العديد في هذا المجال من أهل الأندلس نذكر من بينهم المقري ابن زكريا بن يحي بن سلام و الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ) و بقي بن مخلص (ت 273هـ) و بن محاسن عثمان بن محمد (ت306هـ) و غيرهم...

" كان اهتمامهم الأكبر هو دراسة الحديث حيث لقوا تشجيعا من الخلفاء و الأمراء من بينهم عبد الرحمان بن الحكم و محمد بن عبد الرحمان فدخلت علوم الشريعة و تنوعت المذاهب الفقهية و الدارسين لها في كامل أنحاء الأندلس فانتشر المذهب المالكي المتشدد حيث كان المذهب المسيطر و مذهب الشافعي و مذهب ابن حنبل و قد أشتهر علماء كثيرون في دراسة الحديث من بينهم صعصعة بن سلام الشامي ، و سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب بن وارث الباجي ، و محمد بن عبد السلام الخشني و أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج اللخمي الإقليشي و أحمد بن الفضل بن العباس الدنوري "[3]

---

[1] دياب حامد الشافعي ، الكتب و المكتبات في بلاد الأندلس ، القاهرة ، دار قباء للطباعة و النشر ص38

[2] أنجل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ،م س ، ص413

[3] ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبيار، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ج 1/ط2(1410هـ /1989م) ، ص316

و لقد تميزت هذه الحركة الفكرية بالتسامح المذهبي ، التي استمدت أصلها من العقيدة السمحة الإسلامية فكان همهم الأكبر هو نشر الإسلام .

ب. الإخلاص :

" لقد دعا الإسلام إلى الإخلاص لله عز وجل و من البديهي أن الإنسان الذي يدرك هذا المفهوم سيتقن عمله سواء أكان نظريا أو تطبيقي لذا حرص الأندلسيون على الإتقان في أعمالهم و هذا ما نلاحظه في التطور الحضاري و الثقافي و العلمي و شتى مجالات الحياة الأخرى ، فكان نتيجة هذا أن شيدوا هذا التراث الضخم الذي استفادة منه البشرية جمعاء, و نلاحظ أن الإخلاص طبق في ميادين عدة و من أعظمها و أهمها الربط بين العقيدة و العمل ونتيجتا لهذا هو ما وصلوا إليه من الإبداع الحضاري "[1]

" فكان الخلفاء و الأمراء إذا عقدوا المعاهدات و الصلح لا يخونون حتى أعدائهم و هذا ما نجده مثلا في العهد الذي أعطاه موسى بن نصير لتدمير أمير من أمراء النصارى خير مثال يدل على الإخلاص المسلمين مع غيرهم ، و هذا الإخلاص شجع المماليك النصرانية لتطلب العهود بالصلح و السلام و التعاون مع خلفاء و أمراء الأندلس خاصتا في عهد عبد الرحمان الناصر و المستنصر بالله و من هنا يتضح أن الإخلاص قيمة سامية من قيم الإسلام التي حرص عليها السلام على تنميتها في نفوس المسلمين لكي يبدعوا و يتقنوا في أعمالهم و لكي يوفوا بعهودهم مع غيرهم ، و هذا ما أكسبهم ثقة أعدائهم قبل أصدقائهم "[2]

[1] ريبيري خوليان ، التربية الإسلامية في الأندلس ، أصولها المشرقية و تأثيراتها الغربية ، م.س، ص23

[2] نفسه ص27

ج. العدل :

" يعتبر العدل من القيم السامية التي دعا إليها الإسلام فما أن حققها حكام أهل الأندلس حتى استطاعوا أن يوحدوا المجتمع الأندلسي بالرغم من اختلافاتهم الدينية و العرقية "[1] "حيث أنهم أبقو على النظام القضائي لأهل الذمة كما عينوا لهم حكاما من أنفسهم لكي يقومون على شؤونهم "[2] و "نجد المستنصر قد عين حبرون قاضيا للنصارى و أتخذه إلى جانب هذا مترجما له "[3] و "حسداي بن شبروط اليهودي اتخذه عبد الرحمان الناصر طبيبا خاصا له "[4]

بهذا التطبيق للعدل حافظ حكام الأندلس على وحدة المجتمع بكل أطيافه لقرون طوال و قد شهد بعض المعتدلين من غير المسلمين لهم بالعدل مثال ذالك ما قاله لين بوند " يجب أن لا يخطر ببال أحد أن العرب عاثوا في البلاد أو خربوها بكل أصناف الظلم و الإرهاق كما فعل القطعان المتوحشين قبلهم فإن الأندلس لم تحكم في عهد من عهودها بسماحة و عدل ، وحكمة ، كما حكة في عهد العرب "[5]

" قد سمح حكام أهل الأندلس نقل الحكمة و العلم إلى الممالك النصرانية المجاورة بفضل المستعربون الذين قاموا بترجمة أمهات الكتب حيث كانوا أداة وصل بين شطري شبه الجزيرة الأيبيرية ، فعملوا على نشر الإسلام [6]

---

[1] عبد الحليم رجب محمد ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية ، م.س، ص17

[2] ابن القوطية ، تاريخ إفتتاح الأندلس ، تح: عبد الله انيس الطباع ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1958م ، ص38

[3] المقري ، نفح الطيب ، دار قباء للنشر و الطباعة ، القاهرة ، مصر ، 1998م ، ج1، ص188

[4] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ، في طبقات الأطباء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، ج2 ، 1998م ، ص50

[5] شلبي أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط4 ، 1970م ، ص28

[6] ألطيبي أمين توفيق ، دراسات و بحوث في تاريخ الأندلس و المغرب ، الدار العربية للكتابة ،ج2 ، ص315

" كما حضي اليهود بحرية واسعة لم يعهدوها قبل الفتح الإسلامي في ضل حكم القوط المتوحشين و اعتبرت هي الفترة الذهبية من تاريخهم و قد ساهموا في دور كبير في ترجمة أمهات الكتب و المصنفات من العربية إلى اللاتينية و القشتالية "[1]

"هذه من النماذج التي تأكد على العدل الذي قام في الأندلس و قد ساهم انتشار العدل بحد كبير في الاستفادة من طاقات المجتمع و هذا ما جعل الأندلس تتبوأ مكانة مرموقة بين جيرانها من المماليك النصرانية و أيضا قد حافظ على التواجد الإسلامي في الجزيرة الأيبيرية لثمانية قرون متتابعة و أيضا قد شجع الكثير من النصارى في الدخول في الإسلام "[2] و هذه " الأخلاق النبيلة و المتفتحة على الأخر شجعت على التزاوج و الاختلاط بين العرب و الأسبان السكان المحليين و قد تأثروا بالعادات و التقاليد الإسلامية حيث أدى هذا إلى ظهور جيل جديد عرفوا بالمولدين [3]

"بالرغم من كل هذه المعاملة التي حضي بها النصارى في بلاد الأندلس إلا أنه كان بعض رجالات الدين المتعصبين كانوا يوقدون نار الفتنة و يناصرون أعداء المسامين "[4]

فهكذا نرى معاملة المسلمين لمخالفيهم في الدين على عكس ما قامت به المملكة النصرانية في حروب الاسترجاع حيث قاموا بتعذيب المسلمين عندما أنشئوا لهم ما سمية بمحاكم التفتيش لمن يبقى على دين الإسلام.

---

[1] ألطيبي أمين توفيق ، دراسات و بحوث في تاريخ الأندلس و المغرب , م س ،ص77

[2] أمين أحمد ، فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط2 ، 1978 ، ص85

[3] مكي محمود ، تاريخ الأندلس السياسي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط4 ،1970م، ص77/92

[4] بشتاوي ، عادل سعيد ، الأندلسيون المواركة ، القاهرة ، مصر دار الكتب ، ط1 ، 1951م ،ص40/38

5. مكانة العلماء في بلاد الأندلس :

لقد استمد أهل الأندلس من دينهم توقير العلم و العلماء فقد قرن الله عز وجل بين العلم و الخشية فقال الله تعالى " وإذا قيل أنشزوا فانشزوا يرفع الذين أمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات و الله بما تعملون خبير "[1] و قوله عز وجل " و من الناس و الدواب و الأنعام مختلف ألوانه كذالك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور "[2]

6. علاقة الحكام بأهل العلم :

" لقد كانت علاقة الحكام الكبيرة مع العلماء أثرها البالغ في التطور الثقافي و الإبداع الحضاري في الأندلس فقد تميزت هذه العلاقة بالإجلال و الاحترام و الأمثلة كثيرة في هذا الصدد نذكر منها الحادثة التي وقعة للفقيه المحدث بقي بن مخلد (ت276هـ/2889م) الذي جاء برسالة الإمام الشافعي ، فثار فقهاء المالكية ضده و كادوا أن يبطشوا به لولا أن تداركه الخليفة عبد الرحمان بن الحكم و قام أيضا بتشجيعه على نشر علمه و هذا ما يدل على مكانة العلماء و أيضا احترام الرأي الأخر "[3]

---

1 سورة المجادلة الآية 11 .

[2] سورة فاطر ، الآية 28 .

[3] مكي محمود ، تاريخ الأندلس السياسي ، م.س، ص77

7. التسامح و البعد عن العنصرية :

"لقد اتسمت بشكل عام الحياة الثقافية و الاجتماعية بالتسامح و كان أثرها و واضح في استقرار الوضع في أحيان كثيرة لأنه في الأندلس كانت تحترم جميع الأديان و الأقليات "[1]

" فقد احتضنت بلاد الأندلس بين سكانها المسلمين أجناسا و مذاهب شتى حيث عاش العرب و النصارى و اليهود و قد حدثت بينهم المصاهرات و من بين هذه المصاهرات نجد أن أم هشام أخر ملوك بني أمية كانت أمه قشتالية أيضا زوجة الأمير مجاهد العامري كانت نصرانية و هي أم ولده خليفة عهده "[2] و "نذكر الكنائس النصرانية كانت تحت تصرف رجال الدين النصارى و سمح لهم بذكر أسقفهم في المواعظ الدينية و تجمعاتهم بدلا من ذكر الخليفة "[3]

" حيث كانت نواقيس كنائس النصارى تدوي في كامل أرجاء المدن الأندلسية بدون أن يظهر المسلمين أي امتعاض برغم مما كانت تسببه من إزعاج "[4] و "قد سمحوا لهم أيضا ببناء كنائس جديدة "[5] و هذه كلها دلائل على مدى التفتح الثقافي و الحضاري التي وصل إليها المسلمين في بلاد الأندلس.

---

[1] ألحجي عبد الرحمان ، الحضارة العربية في الأندلس ، دار الإرشاد ، بيروت ، 1969م ، مج2 ، ص24

[2] عنان محمد عبد الله ، دول الطوائف منذ القيام حتى الفتح ألمرابطي ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ،1977م ص200

[3] نفسه، ص203

[4] ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الآلاف ، تح: طاهر مكي أحمد ، دار الهلال ، القاهرة ، 1994م ، ص133

[5] سالم عبد العزيز ، تاريخ المسلمين و أثارهم في الأندلس ، دار المعارف ، لبنان ، 1962م ، ص131